العلاقات الروسية – الإيرانية في عهد الرئيس محمد خاتمي

م. د. علي حسن المكصوصي
كلية الكوت الجامعة

المقدمة :

شهدت العلاقات بين روسيا وإيران حالات عديدة من المد والجزر، مالت في احيان كثيرة نحو الصراع وعدم الاستقرار ، فوقعت في العهد القاجاري (١٧٩٤– ١٩٢٥) حروب عديدة خسرت فيها إيران أراضي واسعة ضمتها روسيا إليها ، وأصبحت جزءاً منها ، وشكلت بعد قيام الاتحاد السوفيتي جمهوريات آسيا الوسطى . لم تكن العلاقات السوفيتية – الإيرانية في عهد رضا شاه بهلوي (١٩٢٥–١٩٤١) جيدة، ومرت بازمات كثيرة لان العاهل البهلوي كان ، فضلاً عن كرهه للشيوعية ، راغباً في تخليص اعتماد الأجزاء الشمالية من بلاده على التجارة والاقتصاد السوفيتي ، وجاءت التطورات التي رافقت الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩– ١٠٤٦) لتشهد غزواً سوفيتياً – بريطانياً لايران نجم عنه احتلال الجيش السوفيتي للأجزاء الشمالية من البلاد، وإجبار رضا شاه بهلوي على ترك الحكم لابنه محمد (١٩٤١– ١٩٧٩) .

كان من الطبيعي ان يكون اعتماد الشاه البهلوي الجديد في ظل ظروفه القلقة وكيفية تبوئه السلطة على القوى الكبرى وفي مقدمتها بريطانيا اثناء الحرب العالمية الثانية والولايات المتحدة الامريكية في اعقابها ، وان تكون علاقته بالسوفيت غير مستقرة لانهم كانوا محتلين للمناطق الشمالية من بلاده، وداعمين لجمهورية مهاباد الكردية وحكومة أذربيجان الديمقراطية اللتان كانتا معاديتان للحكم البهلوي ، فضلاً عن رغبة السوفيت في استثمار نفط المناطق الشمالية اسوة بهيمنة البريطانيين على نفط الجنوب الإيراني .شهدت سنوات الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين انحيازاً ايرانياً تجاه الولايات المتحدة الأمريكية التي دخلت مع السوفيت في " حرب باردة" ألقت بظلالها على منطقة الشرق الأوسط بعامة وإيران بخاصة لاعتبارات عدة وقف على رأسها مجاورتها

للاتحاد السوفيتي بحدود طويلة ، ورغبة الإدارة الأمريكية في اتخاذها مصدر قلق دائم للسوفيت ومرتكز لنشاطاتهم ضد السوفيت فيها . تطورت العلاقات الإيرانية – الأمريكية في سنوات السبعينيات ، وأصبحت ايران احدى العمودين المتساندين مع المملكة العربية السعودية في منطقة الخليج العربي، وخط الصد الأول ضد الهيمنة الشيوعية ومنعها من التغلغل الى منطقة الشرق الأوسط، واستمر دورها المعادي للسوفيت حتى سقوط محمد رضا شاه عن العرش عام ١٩٧٩ بعد تخلي الادارة الامريكية في عهد كارتر عنه ، ومجيء نظام جديد في ايران بقيادة المؤسسة الدينية .

لم تكن علاقات الحكومة السوفيتية مع ايران بعد وصول المؤسسة الدينية الى الحكم جيدة بسبب وقوفها الى جانب العراق ابان الحرب بين البلدين (١٩٨٠–١٩٨٨) وتقديمها المساعدات العسكرية التي كان العراق بحاجة اليها لادامة سير المعارك خلال السنوات الثمان، الا ان تفكك الاتحاد السوفيتي وانهياره في تسعينيات القرن العشرين أدى الى انفتاح المسؤولين الايرانيين على جمهوريات الاتحاد السوفيتي الاسلامية، وعلى روسيا، وترميم العلاقات فيما بينهما على مختلف الصعد السياسية والاقتصادية والعسكرية .

يهدف هذا البحث إلى تبيان طبيعة هذه العلاقات في عهد الرئيس الايراني محمد خاتمي (١٩٩٧– ٢٠٠٥) والدور الروسي في بناء المفاعلات النووية في ايران ومشاريع الطاقة الروسية التي بنتها الكوادر الفنية الروسية وموقف الولايات المتحدة من تعزيز العلاقات الإيرانية – الروسية ، فضلاً عن بحث التدخل الايراني في جمهوريات آسيا الوسطى والمفاوضات الايرانية – الروسية لتقسيم بحر قزوين بينهما .

Abstract

The research deals with a very important stage in the history of Russian-Iranian relations, which lasted from 1977 to 2005 during the period of the rule of Iranian President Mohammad Khatami. This importance comes from the nature of regional and international developments, whether they were one of them, The research dealt with the nature of the relations between the two parties in the period that followed the revolution of 1979 until Khatami came to power. He then reviewed bilateral relations during the Khatami era (1997-2005). Russia's role in building nuclear reactors in Iran, Russian energy projects

intervention in the Central Asian republics and the Iran-Russia negotiations to divide the Caspian Sea.

built by Russian technical personnel, the US position on strengthening Iranian-Russian relations, as well as the Iranian

العلاقات الروسية – الإيرانية بعد قيام الثورة الايرانية عام ١٩٧٩:

احتلت القوات الروسية والبريطانية شمال وجنوب ايران عام ١٩٠٧ اثر المعاهدة التي وقعت بين حكومتي البلدين بشأن تقسيم ايران بينهما[١] . وبعد قيام ثورة اكتوبر عام ١٩١٧ انسحبت روسيا من شمال ايران ، الا ان هذا الانسحاب لم يدم طويلاً، اذ عادت روسيا الى شمال ايران بعد اشهر عدة، وفي أيلول ١٩٤١ تجاوزت القوات السوفيتية الاراضي الايرانية واسهمت مع بريطانيا في اسقاط نظام رضاه شاه واجبار العاهل البهلوي الأول على الاستقالة وتسليم الحكم لابنه محمد (١٩٤١-١٩٧٩)[٢].

كان الاتحاد السوفيتي خلال مدة حكم محمد رضا بهلوي ساعياً للحصول على مواقع ثابتة في ايران ، الا ان اعتماد الشاه على الولايات المتحدة الامريكية وتحوله الى مرتكز لها في منطقة الشرق الأوسط جعل العلاقات السوفيتية – الايرانية غير جيدة او متطورة شأنها شأن العلاقات الامريكية – الايرانية[٣] ، الا ان ايران في احيان معينة اضطرت للاستفادة من المساعدات السوفيتية خدمة لمصالحها لاسيما في المجال الصناعي، فعلى سبيل المثال لا الحصر عندما رفضت الادارة الامريكية انشاء معمل لصهر الحديد في طهران طلبت الحكومة الايرانية من الاتحاد السوفيتي القيام بذلك بدلاً من الامريكان ، فضلاً عن رغبة المسؤولين الايرانيين في الاستفادة من الاسلحة والاعتدة السوفيتية[٤].

عندما قامت الثورة الايرانية عام ١٩٧٩ وسقط نظام محمد رضا بهلوي وقف السوفيت على الحياد، ولم تبد حكومة موسكو معارضتها للنظام الجديد في ايران، وأعلنت بطريقة غير رسمية ترحيبها بالثورة التي أنهت النظام الشاهنشاهي لارتباطه الكلي بالولايات المتحدة الامريكية ومن أشد حلفائها في منطقة الشرق الأوسط، لكن الجمهورية الاسلامية عندما اعلنت رفضها للحركات الشيوعية الايرانية، وتاكيدها على عدم ارتباط سياستها الخارجية بالشرق أو الغرب، وانها تتبع سياسة الحياد بين المعسكرين، فتغيرت نظرة المسؤولين السوفيت للنظام الجديد في ايران وادرك السوفيت ان ايران لا يمكنها ان تسير في فلكهم [٥].

وخلال الحرب العراقية – الايرانية(١٩٨٠-١٩٨٨) وقف السوفيت الى جانب العراق ،

وقدموا للأخير مساعدات عسكرية كبيرة جعلت العراق قادراً على إدامة زخم الحرب لثمان سنوات، الأمر الذي دفع إيران لعد السياسة السوفيتية سياسة منحازة لعدو يحاول إسقاط نظامها، فكان من الطبيعي ان تسعى حكومة طهران للابتعاد عن السوفيت وعدم تقوية علاقاتها السياسية معهم، إلا أن زيارة هاشمي رفسنجاني رئيس مجلس الشورى الايراني الى موسكو ولقاءه مع المسؤولين الروس كان له دوراً مهماً في اعادة ترميم العلاقات الايرانية – الروسية، وكانت حكومة طهران ترمي من وراء ذلك ان تكون علاقاتها مع الروس سداً منيعاً بوجه المخططات الامريكية الرامية الى تحجيم الدور الايراني وفرض هيمنتها على الشرق الاوسط[٦].

لقد تباحث رفسنجاني في الكرملين مع عدد من الدوائر الرسمية السوفيتية حول الكثير من المسائل وفي النهاية الإعلان عن عدة توافقات بعيدة المدى في المجالات الاقتصادية والفنية وتبادل القنصليات وفي المؤتمر المشترك الإيراني السوفيتي اعلن رسمياً عن تقارب وجهات النظر بخصوص الحرب العراقية مع الحلفاء وطالبا خروج جميع القوات البحرية الأجنبية من المنطقة لكي تسعى دول المنطقة حماية امنها بنفسها وتحمل مسؤولية ذلك عاتقها. وتباحث الطرفان حول مسألة افغانستان مطولاً ووصلا الى قناعة بضرورة ان يتم التوصل الى تشكيل حكومة مستقلة في افغانستان وان تكون غير منحازة وتربطها مع دول جوارها روابط حسنه . وحول المجالات الاقتصادية توافقت الدولتان على الاشتراك في مسألة اكتشاف واستخراج الغاز الطبيعي من بحر قزوين كذلك اعلن الاتحاد السوفيتي الاستعداد الكامل لبيع الاسلحة الى ايران وكذلك التعاون في مجال الطاقة النووية للاهداف والاستخدامات السلمية غير الحربية، وهنا يجدر بنا الاشارة الى انه بعد وصول الرئيس السوفيتي كوريا جوف الى الحكم حدث تحول تدريجي في السياسة الخارجية السوفيتية فمن النظر الايديولوجي لم ينظر السوفيت الى العلاقات الدولية وبدأوا يسارعون لعقد علاقات واسعة مع الدول الغربية المختلفة وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي باشرت الدولة الروسية بتطبيق جملة من الاولويات الجديدة في السياسة الخارجية وبدات تسعى من اجل الحصول على المساعدات الفنية والاقتصادية من الدول الغربية من اجل القيام بجملة من الاصلاحات لتحسين الوضع الاقتصادي والوصول الى مرحلة النمو الاقتصادي وعلى الرغم من ان الروس عقدوا علاقات وطيدة مع الدول الغربية وبدؤا بالتقرب من الولايات المتحدة الامريكية وتوسيع العلاقات معها وسعوا من اجل حفظ موقعهم السياسي ونيل الامن يشكل افضل ولأجل حل وفصل

الخلافات الموجودة في المنطقة بدأ الروس مفاوضاتهم مع ايران واعلنوا التعاون التام وتحسين الروابط مع ايران .ان توسيع العلاقات بين موسكو وطهران مهمة وقيمة للدولتين مطبقاً للاولويات مع ايران وحليفا للسياسة الخارجية للدولتين [٧]. لقد كان الروس قلقين من سرعة العلاقات الودية بين الدول السوفيتية الحديثة الاستقلال في آسيا المركزية والقفقاز وأن اتساع رقعة الاسلام في المنطقة قد تعرقل المصالح الروسية في المنطقة وتضرها . ومن الجدير بالذكر ان حكومة الجمهورية الاسلامية الايرانية قد اسرعت للتعاون والتنسيق مع تلك الدول لأن هناك العديد من المصالح الثقافية المشتركة بين هذه الدول وايران وبذلك باستطاعة ايران عبر ايجاد علاقات مناسبة معها سوف يمكن الوصول الى أهداف ايران المرسومة، لذا أصبحت هذه الدول في توافق تام ايران . عندما وصلت طالبان الى الحكم في افغانستان أعلنت روسيا وإيران قلقهما البالغ وقررا عدم اعطاء الوقت الكافي لمثل هكذا حكومات مهددة لهما لأن وجودها خطر شديد على كلا الدولتين من الناحية الامنية والسياسية [٨] .

لقد مارست الحكومة الامريكية ضغوطاً شديدة على دولة روسيا لكي تجتنب التعاون مع ايران، ففي شباط عام ٢٠٠٠م طلبت واشنطن من روسيا الغاء اتفاقية انشاء المفاعل النووي في بوشهر مقابل منح روسيا مبلغ ١٠٠ مليون دولار كمساعدات. كذلك اعلن الرئيس الامريكي كلنتون مراراً عدم ارتياحه من توسيع العلاقات الايرانية الروسية واعلن صراحة اذا لم توقف روسيا تصدير الاسلحة الى ايران فسوف نضطر الى فرض عقوبات ضد روسيا . وقبل سفر السيد خاتمي الى روسيا وصل وفد روسي رفيع المستوى الى طهران. كذلك في مطلع عام ٢٠٠٠م وصل السيد سركي ايونوف رئيس مجلس أمن اتحاد الجمهوريات المستقلة الى ايران واجرى جوله عديدة من المفاوضات مع المسؤولين الايرانيين ووجه دعوة رسمية الى الرئيس خاتمي لزيارة موسكو، فكان الرئيس خاتمي كان اول رئيس جمهورية ايرانية يزور روسيا وحسب ما ذكره الرئيس الروسي بوتين بأن زيارة السيد خاتمي الى روسيا فصل جديد من العلاقات الطيبة بين الطرفين واهدى الرئيس الروسي بوتين نسخة من كتاب حوار التمدن للسيد خاتمي وقد ترجم الى اللغة الروسية . كذلك اجرى السيد خاتمي مع العديد من المسؤولين في الحكومة الروسية مثل رئيس الوزراء وكذلك اعلن في مجلس الدوما الروسي بأنه " بامكان ايران وروسيا ايجاد الصلح والسلام في المنطقة واعطاء الاقتصاد ما يستحقه من أهمية في المنطقة وطبقاً للمصالح المشتركة وبامكاننا توسيع التعاون في كل المجالات" وقال ان

الجمهورية الاسلامية الايرانية لا ترغب في الوصول الى اهدافها في السياسة الخارجية بالقوة والعنف. وخلال اخر لقاء بين الرئيس خاتمي وبوتين اعلن السيد خاتمي: ((ان توسيع التعاون المشترك بين الجانبين سوف يساهم في ايجاد الصلح والثبات والامن واذا لم تكن هذه الشروط موجودة لهذين الدولتين فأنه لا يمكنهما تسلق المراتب الاعلى والوصول الى اهدافهما". بالمقابل أعلن بوتين بأن دولته مستعدة بشكل كامل بان توسع كافة العلاقات في كافة المجالات والاصعدة مع ايران من اجل حدوث اصلاحات واسعة في ايران وان روسيا جادة في انشاء مفاعل بوشهر النووي كذلك اعلان الدولتان انه من واجباتهما منع حدوث تهريب المخدرات والارهاب ومعاقبة القائمين بذلك بالقوة كما تفاوض الطرفان حول مسألة بحر الخزر(قزوين) وقررا الاستمرار في التفاوض حتى الوصول الى طريقة حل مناسبة للطرفين في المستقبل، كذلك اتفق الطرفان على الاستعداد للتعاون في المجال الاقتصادي وفي النهاية وقع الجانبان على معاهدة العلاقات المشتركة بين روسيا وايران[٩]. ان هذه المعاهدة وخاصة من ناحية الصداقة المشتركة والحفاظ على الامن كانت على اهمية بالغة وتمكينها ان تدفع الدولتان لاتخاذ التدابير اللازمة والكافية في المجال الامني المشترك وفي النتيجة ان تعيش الدولتان في ثبات وصلح وطبقاً لبنود هذه المعاهدة فانها اكدت عدم جواز ايران ولا روسيا اللجوء الى القوة ضد احدهما الاخر وكذلك عدم السماح لأي طرف بالاستفادة من ارضه ضد الطرف الاخر واذا تعرضت ارض طرف من الاطراف الى التجاوز فعلى ايران وروسيا التعاون لأنهاء هذه الحالة وفقاً للقوانين الخاصة بالامم المتحدة [١٠] . وبعد سفر السيد خاتمي الى روسيا تعرضت العلاقات الروسية الايرانية الى حالات الصعود والنزول والتذبذب حتى ان الخبراء المطلعين على العلاقات الروسية الايرانية اشاروا الى هذه النقطة : اذاً كانت روسيا تسعى الى ايجاد علاقات حسنة مع ايران وكذلك مع حكومة واشنطن يشكل افضل فعليهم ان ينحازوا الى الطرف الامريكي لدلائل واسباب معينة وليس لديهم كل الاستعداد لحماية ايران. لذا قرر وزير الخارجية الايرانية السفر الى روسيا في شباط عام ٢٠٠٢ لكنه اجل تلك الزيارة لان الروس رفضوا عقد لقاء بين الوزير الايراني والروسي والسبب هنا يعود الى ان الروس في تلك الفترة كانوا قلقين على مسألة هامة لديهم وهي موضوع العضوية في منظمة التجارة العالمية إذا استطاعت نيل الحماية من الغرب وخاصة من الولايات المتحدة. كذلك كان في نية الروس الدخول في المفاوضات مع حكومة واشنطن حول مسألة منع انتشار

الأسلحة النووية وان يحصلوا على توافق حول هذه المسألة كذلك كانت روسيا تريد التفاوض مع الولايات المتحدة حول مسألة توسيع رقعة حلف الناتو الى الشرق لكي يحصلوا من هذه الناحية إلى الاطمئنان الكامل.

ان توسيع رقعة الناتو سوف لن يؤثر على الأهداف الستراتيجية والأمنية الروسية وان تلحق بالروس أي صدمة واساساً وبعد حادثة الحادي عشر من سبتمبر اغتنمت روسيا الفرصة للأقتراب من واشنطن وان يظهروا لهم بان بإمكان الروس حماية البرامج والسياسات الخاصة بالدول الغربية كذلك أعلنت روسيا الوقوف إلى جانب الحكومة الأمريكية بشكل جدي في التصدي والوقوف ضد الارهاب في العالم [١١].

التعاون الاقتصادي الايراني الروسي :

في شهر أيلول من عام ٢٠٠٠م أقامت السفارة الايرانية في موسكو طاولة مستديرة وقد دعت السفارة عدة مؤسسات بحثية واعلامية روسية من اجل دراسة التعاون بين ايران وروسيا في آسيا المركزية وقد طرح المشاركون في هذا التجمع عدة تحقيقات ومطالعات وطرح قسم منهم تحقيقاً حول المسألة التالية : كيف يتم حمل ونقل المواد المختلفة من روسيا الى ايران وبالعكس من اجل تقوية الاساس الاقتصادي لمنطقة جمهوريات آسيا المركزية .

ان ميزان التبادل التجاري الايراني الروسي السنوي قبل انهيار الاتحاد السوفيتي لم يكن بالشكل المطلوب لكن بعد عام (١٩٩٠م) بدأ هذا الميزان نحو الارتفاع حتى وصل الى ثلاثة اضعاف. وعلى اساس ميزان التبادل التجاري الايراني الروسي فأنه في عام ٢٠٠٠م قد وصل الى ٩٠٠ مليون دولار ثم تضاعف المبلغ الى ٣٠٠ مليون دولار اكثر من العام السابق وكانت الدولة الروسية اكثر ربحا من هذه التجارة لا بل اكثر من ايران عدة مرات .. كانت ايران تصدر الى روسيا : الفواكه، والخضراوات . والفستق والتبغ ومواد معدنية ، اما الروس فانهم كانوا يصدرون الى ايران الفولاذ والانابيب والتجهيزات الخاصة بالمفاعلات النووي والتجهيزات الخاصة بالملاحة البحرية والمواد الغذائية والورق . في عام ١٩٩٩م ربحت شركة كازبروم النفطية الروسية بحدود ١١ مليون دولار عن طريق عملياتها في حقول بارس الجنوبية وان روسيا أبدت ميلاً كبيرا لأجل الاستفادة من المصادر النفطية والغازية الايرانية اكثر من ذي قبل وتريد التعاون مع ايران بشكل كبير . أن للتعاون الاقتصادي الايراني الروسي مجالات اخرى تشمل موادا اخرى ، فالروس عقدوا عدة صفقات لأنشاء عدة محطات للطاقة الكهربائية في ايران كذلك تم الاتفاق بين الطرفين للتعاون في المجالات العلمية والفنية

والصناعات الحربية خاصة صناعات القوة الجوية .

تعاني ايران من ضعف مؤسساتها الاقتصادية وهذه شكلت حائلاً دون توسيع التعاون التجاري الايراني فمثلاً خط السكك الحديدية الوحيد الذي يتم الاستفادة منه (سرخس /تجن) والى التبادل التجاري بين الدولتين كان يتم عن هذا الطريق الحديدي ولكن بصعوبة كبيرة وترافقه المشاكل العديدة وتسعى الدولتان لأنشاء طريق رسمي مُعبد يمتد من الشمال الى الجنوب ومن المؤمل ان يتم نقل المواد من جنوب شرق اسيا وعن طريق ايران وروسيا الى اوربا اما في الوقت الحاضر فأن المواد المصنوعة في روسيا فأن اغلبها تصل الى ايران عن طريق الخطوط الحديدية الروسية الى بحر قزوين ومنه الى ايران، وان روسيا تأمل ان يتم حمل ونقل المواد من الشرق الى الغرب عن طريق خط سكك الحديدية (الخط السايبيري) لكن ايران لم تعلن توافقها مع روسيا في هذا المجال.

ان لكلا الدولتين توجه خاص للتعاون والتنسيق التجاري والامني بخصوص اسيا المركزية والقفقاس وقد اتخذ الطرفان مواقع مشتركة، كذلك أظهر الطرفان مخاوفهما من اتساع حلف الناتو والنفوذ الامريكي في آسيا المركزية . ان الولايات المتحدة تسعى للاستفادة من مصادر النفط والغاز الخزري وتسعى لذلك من اجل عدم تمكين ايران من الحضور الفعال في اسيا المركزية ومن هنا فأن حكومة واشنطن بصدد نقل نفط المنطقة عن طريق الانابيب (باكو – جيهان التركي) الى اوربا . اما جمهورية ايران الاسلامية فمن اجل جلب اعتماد القيادة الروسية تحاول عدم التدخل السياسي في الجمهوريات السوفيتية الحديثة الاستقلال في اسيا المركزية وفي النهاية يجب ان نذكر انه في الأعوام الأخيرة من التسعينيات قامت ايران بشراء مقدار من الاسلحة من روسيا فبين اعوام ١٩٨٩/١٩٩٥م اشترت ايران ما يعادل خمسة مليارات دولار من الاسلحة والمعدات العسكرية من روسيا ومن المؤمل ان تشتري ايران في السنين القليلة المقبلة ما يعادل سبعة مليارات دولار من الاسلحة والتجهيزات العسكرية [١٢] .

<u>بناء المفاعلات النووية في ايران :</u>

ان شركة أتموس ثروي اكسبرت الروسية باشرت مسؤلياتها منذ عام ١٩٩٨م في نصب مفاعل نووي في منطقة بوشهر وكان من المقرر اكمال انشاء المشروع في عام ٢٠٠٣م وفي الوقت الحاضر يشارك ٣٩٠٠ متخصص روسي وايراني من اجل اكمال المراحل الاولى لصناعة محطة توليد الكهرباء النووية في بوشهر وقد وصلت قطع المفاصل وقطعات المحطة الكهربائية النووية الى ايران تباعاً[١٣]. ومنذ عام ١٩٩٦م والى

اليوم باشر كل الخبراء الروس والايرانيين لنصب محطة كهربائية اخرى ماعدا محطة بوشهر. في شهر تموز من عام ٢٠٠٣م اعلن رئيس الوزراء الروسي بأن روسيا بصدد انشاء خمسة مفاعلات نووية في ايران. وطبقاً للمعلومات الواردة فأنه سوف يتم بناء ثلاثة مفاعلات نووية الى جانب مفاعل بوشهر ومفاعل اخر في مدينة الاحواز تشمل محطتين نوويتين لتوليد الطاقة في الاحواز .ان مثل هذه المشاريع سوف تدر الكثير من الارباح لروسيا ومن هنا يجب ان نذكر بأن روسيا بحاجة ماسة الى العملة النقدية وانه بأمكان روسيا عدم الاسراع في انشاء وهذا العدد من المفاعلات النووية في مدة قليلة الحصول على الكثير من الاموال للمساعدة في حل مشاكلها المالية.

ان لروسيا دوافع اخرى وان المختصين في شؤون العلاقات الخارجية الروسية قد اشاروا الى هذه المسألة وان الدولة الروسية ترغب في تحسين وجهها وتظهر للعالم بانها دولة قوية ومقتدرة حتى صناعياً. ان هذه الدولة تريد عبر ارسالها المساعدات العسكرية وغير العسكرية الى مختلف دول العالم ان تظهر للعالم قوتها واقتدارها وتثبت للجميع بانها رغم بعض المشاكل الداخلية التي تعصف بها الولايات المتحدة بامكانها ان تلعب الدور المهم في السياسة الدولية وانها ليست اقل من الولايات المتحدة ولو درجة سُلم واحدة وان لها علاقات واسعة مع كل دول العالم ان امريكا لازالت تضغط على روسيا لكي تحاول منعها من التعاون مع ايران في المجالات كافة، وان حكومة ايران تعلن باستمرار بأنها لا تريد استخدام مفاعلاتها النووية إلا للاغراض السلمية وليس لصنع الأسلحة النووية لكن الولايات المتحدة تدعي بانه ليس هناك أي معاهد رسمية بين إيران وروسيا بحيث يتم بموجب هذه المعاهدة نقل الوقود النووي لمفاعل بوشهر الى روسيا [١٤]، لكن الرئيس بوتين طمأن الرئيس الامريكي جورج بوش بانه طلب من ايران السماح للخبراء النووين العالميين زيارة مفاعل بوشهر النووي وان يجروا التحقيقات اللازمة في هذا الصدد وكذلك اعلنت الحكومة الايرانية من جانبها بانها على الاستعداد التام للتعاون مع وكالة الطاقة النووية التابعة للامم المتحدة وانه بامكان هذه الوكالة زيارة مفاعل بوشهر النووي وسبق وان وقعت الحكومة الايرانية على وثيقة حظر انتشار الاسلحة النووية . وكما يبدو للجميع ان الجمهورية الاسلامية ليس في نيتها الحصول على الاسلحة النووية عن طريق صناعة المفاعلات مثل مفاعل بوشهر كذلك ليس لدى ايران القابلية الفنية الاقتصادية اللازمة من اجل الصناعات العسكرية النووية لأن التصنيع في ايران

لايزال في بدايته ولم يرتق الى المستوى المطلوب من التطور لكي يتمكنوا من الاستفادة من مفاعل نووي مهما يكن لصنع اسلحة نووية، لذا فان ادعاءات الامريكان واهية ولا اساس لها .

في بداية عام ٢٠٠٤ م قامت حكومة واشنطن والدول المتحالفة معها ببعض الاجراءات الواسعة للحيلولة دون وصول ايران الى الدخول في عالم الذرة. وفي المقابل اعلنت الحكومة الايرانية التعاون التام مع وكالة الطاقة الذرية التابعة للأمم المتحدة لذا وقعت ايران بنداً ملحقا بأنها لا تنوي حتى مستقبلاً الوصول الى صنع السلاح النووي. ومن هنا يمكننا القول بأن التعاون الروسي الايراني في مجال صنع المفاعلات النووية في بوشهر لم يكن من اجل الوصول الى صنع الاسلحة النووية وان المتخصصين الروس هم الذين يشرفون على عمليات بناء وانشاء محطة الطاقة النووية بين ورامين دهوان ومحطة الطاقة النووية (الشهيد منتظري) في اصفهان ومحل ما ينشغل الفنيين الروس والايرانيين لصنع طائرة نقل المسافرين (توميونوف ٣٣٤) في داخل ارض ايران .

<u>التعاون العسكري الإيراني الروسي):</u>

ان موضوع تصدير روسيا الاسلحة الى ايران من المواضع المهمة جداً وأساسي يأتي في صلب العلاقات الجيدة بين الدولتين، ففي عام ١٩٩٠م ازداد ميزان صادرات الاسلحة الروسية الى ايران وبين اعوام ١٩٩١م و ١٩٩٧م استوردت ايران من الاسلحة الروسية بمبلغ ٣،٤ ومن جملة هذه الاسلحة غواصتين من نوع (اكيلو) و ٤٨ طائرة من راز يمك ٢٩ و ٢٠٠ صاروخ ارض جو (دفاع جوي) وان ايران لا تزال تسعى للحصول على المزيد من الاسلحة الروسية الحديثة . كذلك اعلنت الحكومة الروسية استعدادها التام لتلبية متطلبات ايران العسكرية من جميع انواع الاسلحة . ان شراء ايران لمثل هذه الكميات من الاسلحة الروسية لها منفعة كبيرة لايران وفي نفس الوقت مضرة كبيرة لان القوات المسلحة الايرانية كانت في السابق تستخدم الاسلحة الامريكية وليس لديهم اطلاع كافي حول الاسلحة الروسية وان المسألة ليست سهلة عليهم، ومن جهة اخرى تقارب روسيا من الولايات المتحدة ومحاولات الحكومة الروسية التنصل من بعض التزاماتها تجاه ايران، فسعت ايران من اجل تحسين العلاقات التجارية مع روسيا على كل الاصعدة المدنية العامة والعسكرية [١٥]. ويمكن لنا القول بان ايران الدولة الثالثة من حيث شراء الاسلحة الروسية ولدى زيارة وزير الدفاع الايراني الى روسيا ولقاءه مع وزارة الدفاع الروسية تقرر قيام روسيا ببناء قاعدة للانذار المبكر في الحدود الروسية الايرانية والافغانية الروسية

تحول دون وصول المخدرات عن طريق التهريب الى الدولتين[١٦]. وخلال السنين الاخيرة من التسعينيات استطاعت ايران التوصل الى تصنيع الصواريخ البعيدة المدى ونجحت في هذا المجال . وقد ذكرت بعض الوكالات الاخبارية ان ايران استفادت من خبرات كوريا الشمالية وروسيا في صنع الصاروخ البعيد المدى (شهاب ٣) وقد دار سجال شديد في الاوساط السياسية الخارجية وطبقاً لما ذكرت الادارة والمسؤولين الامريكان بأن هذا الصاروخ بامكانه الوصول الى (اسرائيل) وضرب اهداف هناك . وقد اعلنت واشنطن عن خيبة املها من التعاون العسكري بين ايران وروسيا وتمكن ايران من صنع مثل هذا النوع من الصواريخ [١٧] .

ايران ودول آسيا الوسطى :

ان ايران وروسيا منقسمتان حول مسألة آسيا الصغرى ففي جهة من الجهات يتفقون ومن جهة اخرى يختلفون . فمن ناحية ازدياد فعاليات الشركات الامريكية في آسيا الوسطى والعلاقات العسكرية مع تلك الدول حيث اعلنت ايران وروسيا قلقهما العميق وعدم رضاهما لذلك ويسعيان جاهدين في التقليل من تدخل الدول الخارجية وخاصة الولايات المتحدة في هذه المنطقة ومن جهة اخرى لا ترغب ايران في اطلاق يد روسيا في تلك الدول الحديثة الاستقلال لتفعل ما تشاء لان هذا الامر قد يسبب قلقاً وتهديداً للامن الايراني. في شهر شباط عام ٢٠٠٠م. وعندما زار السيد خرازي روسيا طرح على الروس مثل هذا المطلب وقال لهم : ان بعضاً من دول الجوار في بحر القزوين تحاول ايجاد علاقات مع الدول الغربية واعلن انزعاجه وعدم ارتياحه من هذه الناحية وان روسيا بصدد فرض هيمنتها الكاملة على الاوضاع في تلك المنطقة وعلى روسيا عدم السماح لتلك الدول بان يقيموا علاقاتهم الخارجية مع من يشاؤون ومتى ما يشاؤون وتأمل ايران من هذه الناحية ان تلتفت هذه الدول الى احوالهم وان ينظموا سياستهم مع دول العالم بشكل مقبول [١٨] ، ونحن في انتظار المستقبل ونتمنى عدم حدوث تصادم بين ايران وروسيا حول هذه المنطقة .. ان من اهم الدلائل التي وقعت روسيا من اجل تقوية علاقاتها مع ايران وتخطوا خطوات جادة في هذا المجال هو عدم ميل ايران في التدخل في الشؤون الداخلي لتلك الدول .

وبالفعل لقد وقفت ايران مع الجناح الاسلامي المعارض لحكومة طاجيكستان عامي ١٩٩٢/١٩٩١م اما في الاعوام الاخيرة فأن ايران سعت بكل جهدها عبر تعاونها وتنسيقها مع الحكومة الطاجيكية من اجل ايجاد الصلح والاستقرار والثبات في هذه المنطقة .

المفاوضات الايرانية الروسية حول تقسيم بحر الخزر):

عندما زار السيد خاتمي روسيا سعى الخبراء والمسؤولين الايرانيين والروس لمسألة تقسيم بحر الخزر ، ولم يتمكنوا من الوصول الى توافق بينهم . ان الدول الواقعة على حوض بحر الخزر (قزوين) هي ايران – روسيا. قزاقستان وتركمنستان. واذربيجيان، خمسة دول وكل دولة تسعى للحصول على موقع اقتصادي افضل من اجل الاستفادة من مصادر النفط والغاز الطبيعي. وعلى الرغم من ان كل من روسيا وايران لا يسعيان الى ايجاد خلافات بينهما وسعيا من اجل التوصل الى طريقة لحل هذه المسألة، كذلك لم يتم أي توصل الى طريقة النظام المالي بين الاطراف . وعندما زار السيد خاتمي موسكو كان من المقرر تخصيص جلسة خاصة رسمية للتوصل الى النظام المالي وتقسيم بحر قزوين لكن مع إصرار الوفد الإيراني تم تأجيل الجلسة الى اشعار آخر وفي جلسة اخرى تمت فيما بعد وحضرها كل الاطراف المعنية ايضاً فشلت الجلسة ولم يتم التوصل الى توافق حول تقسيم الحدود المائية لتلك الدول المجاورة، وان مسألة عدم التوافق لم تتم بسبب التدخل الامريكي في المنطقة وتركت المسألة بدون صورة حل .

ان الولايات المتحدة تسعى جاهدة وبكل قوة من اجل كشف واستخراج النفط والغاز وإيجاد الأمن في حوض بحر قزوين حسب رغبتها وتسعى وبكل اصرار من اجل نقل نفط وغاز بحر الخزر الى تركيا وهي تضغط على حكام قزاخستان وجورجيا واذربيجان وتركمنستان للموافقة والسعي لتنفيذ هذا المشروع وتسعى في هذا العمل الى التقليل من النفوذ الروسي في المنطقة ودفع ايران الى الانزواء [١٩] وقد توضح جلياً ان بحر قزوين لم يكن عبارة عن حوض عظيم للنفط والغاز وقد اجمع الكثير من الخبراء ان النفط في بحر قزوين تساوي ٢٠٠ مليون برميل نفط لكن اتضح فيما بعد ان ذخائر النفط هناك تساوي من ٣٤/١٨ مليون برميل وقياساً للمملكة العربية السعودية التي تملك ذخائر نفطية تساوي ٢٦٠ مليار برميل من النفط لذا فأن بحر قزوين لا يحوي الكثير من النفط كما توقع الخبراء. على اية حال فان دول المنطقة لديهم رغبة في الاستفادة من المصادر الموجودة

في بحر القزوين . ان ضعف اقتصاد هذه الدول وعدم وجود خطوط وأنابيب لنقل النفط لذا بامكانهم الحصول على رغباتهم بالشكل المطلوب . ان خط أنابيب باكو – جيهان التركي غير مناسب لنقل النفط من الدول الاخرى لكن الولايات المتحدة مصرة على الاستعادة من هذا الخط الناقل وهذه المسألة دفعت تركيا وجورجيا واذربيجان وثمانية من الشركات المتنافسة

على هذا المشروع الاسراع في تنفيذه والاهتمام به كثيرا. وهناك ثلاثة طرق اخرى لنقل النفط من المصادر في بحر قزوين الى اوربا : الاول خط الانابيب الناقلة للنفط عبر روسيا والثاني : الخط الذي يمر من الاراضي الجورجية . والثالث : الخط الناقل الذي يمر عبر ايران . وان الخط الناقل المار عبر ايران من الناحية الاقتصادية اقل كلفة لكن ليس معلوماً أي الخطوط سوف يتم احداثه. لقد اعدت العديد من الشركات مثل شركة النفط الوطنية الصينية وشركة توتال الفرنسية وعدة شركات نفطية امريكية دراسات حول نقل نفط بحر قزوين الى الخليج العربي لكن الولايات المتحدة تمانع هذا الخط وعلينا ان نذكر بأن عدم وجود نظام حقوقي ومالي مناسب حول الارتباط مع الحدود المائية للدول الواقعة على قزوين دفعت هذه الدول الى التصادم وقيام كل دولة دون التوجه الى الدول الاخرى بفعاليات في المنطقة لتأمين مصالحها الخاصة . وقبل سقوط النظام السوفيتي لم تكن هناك من تدعي الملكية على بحر قزوين سوى ايران والسوفيت ولذا عقدت عدة اتفاقيات حول بحر قزوين في اعوام ١٩٢١ و ١٩٤٠ م ونظموا علاقاتهم طبقاً لهذه المعاهدات. في عام ١٩٩٤ عقدت اذربيجان عدة اتفاقيات مع دول خارجية للاستفادة من المصادر النفطية في بحر قزوين، لكنها واجهت اعتراضات شديدة من قبل ايران وفي عام ٢٠٠٠م ادعت ايران بوجود عدد من السفن الاذربيجانية في مياهها الاقليمية في بحر قزوين مما سبب تصادم معها من قبل الزوارق الايرانية وفي نظر ايران ان لكل دولة من الدول الحق في امتلاك ٢٠% من مياه بحر قزوين.

الخاتمة

أوضح هذا البحث طبيعة العلاقات بين موسكو وطهران خلال الاعوام الأخيرة من القرن العشرين، إذ أخذت هذه العلاقات أخذت بُعداً توسعياً وان ايران سعت جاهدة لتوسيع هذه العلاقات بشكل اوسع في كل المجالات على الرغم من وجود عدة مشاكل كانت تحتاج الى الحلول ويمكن للدولتان السير قدماً لتحسين العلاقات بشكل افضل في المراحل القادمة. ان رجال السياسة في الدولتين والى حدود قابلة للتوجه يسعيان الى تذليل العقبات التي تقف امام أفضل العلاقات وان الصعوبات الموجودة ليست معقدة بحيث لم يكن بالإمكان حلها . وان التعاون التام بين الدولتين لها منفعة مشتركة لكلا الدولتين وخاصة مواجهة سياسة التوسع الامريكي في المنطقة الذي كان هدفها الاسمى الوصول إلى آسيا المركزية ووضع اليد على مصادر النفط والغاز هناك وزيادة تواجدها العسكري، وتسعى ايران جاهدة في تذليل الصعوبات مع روسيا ودول المنطقة وإيجاد انسجام اكثر مع تلك الدول بالمقابل سعت روسيا بكل قوة الى تأمين المصالح الروسية ووقفت سداً منيعاً امام الضغوطات الأمريكية لقطع مساعداتها العسكرية وعدم التعاون مع إيران وعدم اكمال مفاعل بوشهر النووي، لكن سياسة روسيا وبعد حكم الرئيس بوتين تغيرت واصبحت ملائمة مع الدول المجاورة وغيرت روسيا كل ايديولوجياتها ومواقعها السابقة واتخذت موقفاً جديداً اكثر جدية لبناء علاقات متطورة مع إيران.

هوامش البحث :

١- للتفصيل عن هذه المعاهدة يراجع :

J.C.Hurewitz, Diplomacy in the Near and Middle East, Vol.1,Princeton, 1956, pp.265-267; R.W. cottam, Nationalism in Iran, New York, 1963, pp. 164-167.

٢- للتفصيل عن حكمه يراجع :

" ايران بين عهدين" (العهد القاجاري – العهد البهلوي)، من منشورات جريدة البلاغ، بيروت، ١٩٣٤، ص ٢٥-٣٧؛ مصطفى الطباطبائي، ايران في عهدها الجديد، صيدا، ١٩٣٤ ، ص ٥٣-٥٥؛ نوبخت ، شاهنشاه بهلوي ، قسمت أول ، تهران ، د.ت، ص ٢٩ – ٣٥,

٣- للتفصيل عن العلاقات الامريكية – الايرانية يراجع : كمال مظهر احمد ، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ١٤٤ – ١٤٧؛

R.K. Ramazani, Iran's Foreign Policy 1941- 1973, New York, 1974, pp.76-80.

٤- نديم حسن علي ، العلاقات الايرانية – السوفيتية ، بيروت ، ١٩٩٨، ص ٧٧-٧٨,

٥- ابراهيم الدسوقي شتا، السياسة الخارجية للثورة الاسلامية ، بيروت ، د.ت،ص ١١١.

6" The New Russian Foreign Policy, " coutid: in http:// www.gromki.u, 12/28/2002, pp. 1-3.

7 "Russia's Ivonov inTehran Admist Nuclear Deal Uproar," http//www.fas.org,12/28/2002.

8-"Peresident KhatamiVisits Russia, " http://www.iccim . org. 11/26/2006, p. 3.

9-" Khatmi's Visit Heralds New Iran- Russia Ties, " coutid in: http://english. Peopledaily. Com . cn, 11/25/2002, p. 2.

10-Alex Vatanka," Russia's Relations with Iran Approach a ReckoningPoint,"http://www.Pura sianet,org,11/30/2002, pp.103.

11-"Khatami's Visit Heralds New Iran-Russia Ties",p. 2.

"12- Russia and Iran: Comrades in Arms, http://www. Freemasonwatech. Freespeech.com,11/3/2002, p. 3.

"13-;putin stesses Iran's important Role in the Region," p.3.

"14-Russia Outlines Plans for Five More Iranian Rectors, Stoking Weapons Programme Fears," coutid in : http:www.bellonan.no, 11/25/2002, pp.1-3

15- http://www.ceip.;og/filers/programs/russia/tenyers/ transcript, 12htm, 11/30/2002, p. 1-3.

16-Michael Eisenstadt,Iranian Military Power, Washington,D.C.: The Washington Institute for Near EastPolicy, 1996, p. 66.

17-" Russian TightenTies to Iran," coutid in: http://www. Csmonitor. Com, 11/24/2004, p. 103.

18-" Russia andIran: Comrades in Arms, " p. 3.

19-" Analysis: Iranand and Russia Forge Closer link," p.1.

20-Central Asia/Russia," IranMay Challenge Russia's CaspianHegemony,"http://www.atimes.Com, 11/7/2002, p.1

21-KennethKatzman," Iran Russia and the New Muslim States, http://ourworld. Com puserve. Com 25/11/2003, pp.1-2.